«عند اللزوم» بين جدة الشعار ومتاهات العمل المسرحي

بقلم : يعقوب جبيل اسماعيل

عرضت فرقة المسرح الفلسطيني المقدسية مسرحية "عند اللزوم" على مسرح قاعة العمرية بالقدس وذلك بتاريخ ٢٠ اب ، وجاء العرض ضمن مهرجان المسرح الفلسطيني الذي اشرفت عليه هذه الفرقة واستمر لمدة اسبوع .

المسرحية بشكل عام تناقش قضية ثلاثة معتقلين يهربون من السجن ، ويتفقون على اللقاء مرة اخرى في احد الفنادق ليواصلوا مسيرتهم .

من هنا يبدا الخط العام للمسرحية وبنقله مفاجئة على المشهد التالي نرى قاعة فندق والذي ستدور جميع احداث المسرحية فيه ، كما ونشاهد في القاعة شاب (وديع) وفتاة (سهام) وهما كما سيفهم من الاحداث ابنان "لبرجوازي" متوفي وقد اضاع "وديع" كل الثروة التي تركها له والده على الحفلات والسهرات ومصروفات مظهره الخارجي .

اما بالنسبه لسهام فلم يقولوا لنا كيف كانت تعيش .. وكل ما نعرفه عنها انها رفضت اكثر من واحد تقدم لخطبتها لانهم على حد قولها غير مثقفين . المهم ان الاخوان اتفقا على ان يبدءا حياة عملية وذلك بفتح فندق "على حسابهما الخاص" ويكون هذا الفندق ملتقى المعتقلين الهاربين" ولا ادرى كيف؟ اذ ان هذا الفندق حديث العهد ، ولكنها الصدفة ، وياتي المعتقلون الهاربون من السجن "سعيد ، وسهيل وحامد كل لوحده متكرين باوصاف وهيئات مختلفة وبعد الدردشة الطويلة يتعرفون على بعضهم البعض كما يتعرف على هويتهم كل من "سهام ووديع" وتكون ردة الفعل عند الاخيرين مختلفة ، فنهام تريد ان تساعدهم اما وديع فيأمل ان يبلغ عنهم لكي يحصل على الثمن وهو جائزة مقدارها مائتا الف ليره.

وهنا يشتد ايقاع المسرحية وبعد الدراما ياتي الدراما العنيفة (الميلدراما) وعندها من عندها ياتي اللزوم .

لكي نستطيع ان نفهم الخط العام الذى تطرحه المسرحية لا بد لنا من تحليل المسرحية بصورة عكسية اى ان نبدا من نهايتها ، عندما تقتل "سهام" اخاها وديع بمسدس كان والدها "البرجوازى قد نصحها بالاحتفاظ به (لهذا الغرض) كما يفهم من المسرحية وذلك لكي تنقذ "حامد" وكما تتصوره بتفكيرها المثالي بطلا واسطورة وتنقذ ايضا اصحابه.

والمسرحية انحرفت منذ البداية عن الخط العام الذى ذكرناه "واصبح همها الاول طبيعة التناقض الواسع بين "سهام ووديع الى ان يقتنع المتفرج بحقيقة قتل سهام لاخيها "وديع".

"يا عالم حرام".

هناك حقيقة تاريخية وهي ان اى تناقض انما ينشا عن واقع معين وسهام واخوها وديع انما هما اخوان ذو واقع مشترك ، فمن اين ينشا هذا التناقض "التناحرى" بينهما .. وكيف ساقتنع بان والدها "هذا اعطاها المسدس لكي تقتل به ابنه لذات السبب الذى اعطته ايانا المسرحية.

هنا برزت التناقضات في مضمون العمل المسرحي ..... فالمسرحية عجزت عن الربط وبمعنى اخر الفت العلاقة الجدلية بين الواقع الاجتماعي (الطبقي) وبين الواقع الفكرى ، ومن ثم الموقع النضالي او الموقف من قضية النضال .

ورجعة قصيرة للمشاهد السابقة نرى الطابع الاجتماعي يغلب على المسرحية . فبعد ان يقتل المعتقلون حراسهم (ولا ادرى كيف) تنحرف المسرحية عن هذا الخط .

تبدا كما قلنا لتحلل لنا شخصية الشاب المسنهر "وديع" "اللامبالي" (البرجوازى) .. الخ . وتظل المسرحية تسير في هذا الخط الثاني هكذا الى مشهد النهاية ، حيث تمثلي بالحشو المبتذل من الكوميديا التي تعتمد على اللفظ والحركة وهي كما يرى دارسو المسرح العالمي كوميديا مبتذلة لارغام الجمهور على الضحك .

وهنا ايضا يبرز تاثير المسرح الكوميدى المصرى المبتذل والغير هادف على هذه المسرحية حيث نلاحظ ذلك في شخصية "الدكتور بسام" وطريقة حركته على المسرح .

كما وتبدو المسرحية مملة وخاصة في الحوار الذي يجري بين الدكتور بسام "سهيل" وبين الشيخ العجوز "حامد" هذا ما استخلصته وما خرجت به من المسرحية وبعد ساعتين من انتظار الصفر "اللزوم" ولم يكن متوقعا ان ياتي هذه الكلمة على لسان "سهام" وهذا ما يثبت صحة تصورى الاجتماعي للمسرحية المغلوطة ولكني حقيقة لا ادرى الى الان ما هو الشيء الذى ارادت المسرحية ان تطرحه وماذا يخدم هذا الشيء .

وعلى كل حال فقد طالعتنا المسرحية بمواهب فنية كوميدية في كل من شخصية وديع والدكتور بسام ومجرد اقتراح اقدمه لفرقة المسرح الفلسطيني وهو ان تدرس الامكانية عرض عمل مسرحي كوميدى . ولكن بشرط ان يتدبروا اسما كوميديا لهذا العمل وقد يكون "فندق الـ .." وذلك لئلا يقعوا في متاهات اخرى عند عرضهم لهذا "الشعار" اقصد العنوان مسرحيا

مع تحياتي لفرقة المسرح الفلسطيني وتمنياتي بدوام المهرجانات.

كتاب جديد

درب الآلام

"درب الالام" قصة في مجلدات للكاتب الشهير الكسي [illegible] يتعرض الكاتب في هذه القصة الشعب [illegible] قبل ثورة اكتوبر [illegible] وأثناء الثورة ، [illegible] على اهتمامه على الحرب [illegible] التي قامت في روسيا [illegible] والتي تأدتها [illegible] الثورة ، [illegible] من ضباط القيصر . [illegible] والذات لاسقاط [illegible] الثورة في روسيا . [illegible] الكاتب ايضا كيف [illegible] دول اوروبا الغربية [illegible] هؤلاء الضباط في [illegible] لاسقاط النظام الثورى [illegible] الذى وجد في روسيا . [illegible] يمثل ذلك يصف الكاتب [illegible] دقيقا الحاله الاجتماعية [illegible] سادت في مدن وقرى [illegible] اثناء الحرب الاهلية في [illegible] ١٩١٢ - ١٩١٩ ويبين [illegible] قيام العمال والفلاحون [illegible] بعد تفهمهم لمبادئ [illegible] وبعد تيقنهم من اهدافها [illegible] بدعم الجبهة بالغذاء ، بالكساء بل وبالرجال المحاربين بالمواسل

لقد مرت سنوات شقاء على الشعب الروسي في تلك الفترة حيث فقد الخبز كما فقد الكاز والحطب واصبحت البيوت بلا تدفئة وتفشت الامراض وانتشرت السرقة والدعارة وتعطلت المدارس والمستشفيات وكل المؤسسات العامه الاخرى ، ولكن من بين كل هذا الدمار والردم خرجت نبته يانعه هي النظام الحديدى الصارم للاشتراكية ذلك النظام الذى وزع الخبز بالتساوى ووزع الارض بين الفلاحين ووقف بحزم ضد المتاجرين بالغذاء واللصوص وساوى بين الناس لا بل والغى النظام القائم على استغلال الانسان لاخيه الانسان .

كما ويتطرق الكاتب الى ازمة المثقفين النفسية الذين لا يعلمون الى اى جهة يجب ان

ينحازوا ويحددون ذلك بعد درب من الالام ليقفوا بعده الى جانب الثورة بعد ان تأكدوا بانفسهم وعلى جلدهم ان مسيرة الثورة هي الحقة .

هذا الكتاب من اجمل الكتب التي تصور الحياة الروسية البسيطة على حقيقتها وتصور الفلاح الروسي في عمله وفي نضاله من اجل مكتسبات منحته اياها الثورة .

قارئ

[illegible] الصبر .

[illegible] الى البوابة الحديدية السوداء وقفت ام علي ضمن [illegible] القادم للزيارة على راسها سلة الهدية ، بينما [illegible] ابنها علي الذى ناهز الثامنة لقد انتابها شعور [illegible] بان شيئا ما قد يحدث في ذلك اليوم ، فلم [illegible] ينبها اقترب احدهم منها طالبا اليها ان تتبعه [illegible] الى المدير .

[illegible] ينحدر مكتب المدير "علج" محشو بالشحم [illegible] السمن بينما التف من حوله رجال "الفندق" [illegible] وما ان ولجت المكتب حتى ارتسم على وجه [illegible] المدير كاد ان يصل بين اذنيه الكبيرتين [illegible] شيء بالابتسامة . وقد اشار المدير بجلب ابي [illegible] .. واثناء ذلك توجه بحديثه الى ام علي [illegible] شيك يا سيدتي ان تنصحي زوجك بالتعقل .. [illegible] ويخرج معك فورا رحمة بابنك ..

[illegible] عن ماذا ؟

[illegible] عن العبادئ الهدامة .

[illegible] زوجي يؤمن بالهدم لكان الان حرا طليقا [illegible] ما دام الامر كذلك .. فلا يضيره في شيء [illegible] العبادئ الهدامة .

[illegible] وجوده عندكم هوالبرهان الاكيد على انه [illegible] الهدم والهدامين ، وخروجه بالطريقة التي [illegible] لا ينفق مع الشرف في شيء .

[illegible] ومال الشرف ... فهو عملة يدفع من [illegible] اياها هذه ثمنا فادحا ..

[illegible] اللحظة دخل ابو علي .. كانت نظراته [illegible] بالتحدى ونشبت معركة اسفرت عن [illegible] الذى كان يصل بين اذني العلج [illegible] تحطيما .

عادت ام علي من زيارة ذلك اليوم ، وهي تشعر بكبرياء لم يسبق لها ان شعرت بمثلها من قبل . وقد اصابتها الحيرة حين بدات اسئلة علي تنهال عليها :

ـ ما دام والدي يدافع عن الناس فلماذا لا يدافعون عنه ..

ـ لانهم يضللون ..

ـ ولماذا لا نحاول افهامهم ..

ـ ستلحق بابيك اذا حاولت .. بالرغم من صغر سنك ...

وتمضي الايام ويخرج ابو علي من المعتقل ، ولكن الداء ، العضال الذى اصابه لم يلبث ان قضى عليه .. وكان علي قد شب عن الطوق والتحق باحدى الجامعات ... وحان موعد تخرجه ... وام علي ما زالت على العهد ..... ولكنها كانت تنتظر ولدها على احر من الجمر ... ان الدنيا حينئذ ستنفرج في وجهها على رحبها وستقطف ثمار كفاح استمر حتى اوشك ان يطوى العمر كله ... كانت قد ترهلت بعض الشيء ... وارتسمت على وجهها الاحداث ...

ولكنها لم تنقطع عن عادتها التي اصبحت جزءا لا ينفصل عنها ... وهي الجلوس على حافة مصطبة البيت في انتظار المساء لعله ياتي بشيء لم يات به من قبل .

وجاء المساء في ذلك اليوم وام علي في جلستها وقد بدا الافق من بعيد وعلى حوافيه بقايا من فتات نور الشمس التي اخذت اذرعها الذهبية تلوح تلويحة الوداع بينما التحم الافق مع السماء ... وام على ترقب الطريق مشدودة اليها بشكل لم تعهده من قبل ..

والتقط سمعها فجاة وقع خطوات .. فتية ... قوية كخطوات علي ..... فاضطربت ولكنها تماسكت

وظهر صاحب الخطوات متجها نحو البيت ... طويلا نحيفا ... ينهدل شعره على جبينه الغض ... قال بلطف ... لقد جئتك برسالة من علي ... لقد نال علي كل ما تمنيتيه له وتخرج بامتياز .. وبعد حفلة التخرج في بيروت اصر ان يحملني هذه الرسالة اليك ....

كانت على وشك ان تحتضنه ... ولكنه ناولها الرسالة .... فاخذت تعتصرها باصابعها ... لقد تحققت فرحتها بولدها .. وما هي الا ايام ويعود ليضع حدا لمرحلة كانت زاخرة بالهموم ... تماما كالدرب الضيق الذى يضيق ويضيق ، وباستمرار .. ولكنه في نهاية المطاف يفضي الى ساحة رحبة يملاها الضياء .. امي ...

لقد كنت لي دوما المعلم ... الذى استقيت منه العزم والجلد ... ولقد نجحت يا اماه .. ومن اجل ان نقطف سويا ... ثمار الحياة .. كما يفهمها الانسان .. توجهت الى الجنوب ... لاكون يا اماه على مقربة من جنوب الجنوبي .. لعلي اصله دون قيود او تصريح ...

اخذت اوراق الدالية الخضراء تتثنى خجلة تحت لثمات نسمات المساء الندية ، التي رفت حاملة معها اريج زهر الليمون الذى بدا يتفتح بينما انطلق المذياع من بعيد يردد لحنا فيه من الشجن بقدر ما ينطوى على المهابة ... كان اشبه بقرعات القدر ...

هذا هو دربي ...